"تنمية المهارات لمعلّمي اللغة العربية في الهند"

الدكتور عبد الوحيد شيخ المدني *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد! وبادئ ذي بدئ أقول: يجب أن نعلم أن اللغة هي أساس التفاهم والتواصل بين الأمم ولا يخفى على أحد ما للغة العربية من فضل وشرف على سائر لغات العالم، فقد شرّفها الله حين اختارها لوحيه فجعلها لغة حية خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وبذلك صارت جزءاً من الدين لا يتجزأ حيث تتوقف عليها صحة بعض العبادات مثل الصلاة وتلاوة القرآن، فلا يصحّ إسلام إلا بها، فاللغة العربية ودين الإسلام متلازمان. وتعليم اللغة العربية ليس قضية تعليمية فحسب وإنما هو قضية عقدية ورسالة سامية نعتز بها فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: " تعلّموا العربية فإنها من دينكم.." وفهم اللغة العربية واجب على المسلمين لأنه يتوقف عليه فهم القرآن والسنة وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب. ومن أراد معرفة اللغة العربية فعليه أن يدرس حضارة العرب لأن تعلّم لغة أجنبية هو تعلّم حضارة أصحاب تلك اللغة، والحضارة هي طريقة

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها الجامعة الإسلامية للعلوم والتقنية أونتي بورة، بلوامة، جامو وكشمير ص.ب:١٩٢١٢٢

الحياة لشعب من الشعوب وهي تشمل العادات والتقاليد والتاريخ والديانة والفكر والفن والفلسفة والأدب. [1] وهي من أقدم لغات العالم على وجه الأرض وتحتلّ المركز الرابع من بين اللغات الشائعة في العالم بعد الصينية والهندية والإنكليزية، وتثبت الدراسات الحديثة بأنها ستقفز إلى المركز الثالث بعد الصينية والهندية بحلول العام ٢٠٥٠ للميلاد. وقد اعترفت بها هيئة الأمم المتحدة كلغة رسمية لها في الثامن عشر من شهر ديسمبر العام ١٩٧٣ للميلاد، ومن ذلك اليوم يحتفل هذا اليوم باليوم العالمي للغة العربية سنويّاً.

ومن توفيق الله تعالى لنا أن جعلنا من متعلّمي هذه اللغة ومعلّميها، فهل استشعرنا بهذه الفضيلة يوماً فشكرنا المولى عزّ وجلّ على هذا الإنعام؟ يجب على من يشتغل بالعربية أن يثق بنفسه وبعزته وكرامته فإن الله قد أعظم شأنه فعلّمه لغة القرآن والسنة ليهتدي بها في ظلمات الجهل والضلال، فلا يستصغر نفسهأمام أحد فليس أقلّ منزلة وقيمة منه بل هو مصدر خير وأمن وسلام ووئام في مجتمع مليئ بالشر والفساد والجهل والضلال.

فإذا كانت هذه مكانة المعلم وجب عليه أن يكون كفأً لتأدية رسالته ولا يمكن له ذلك حتى يتصف بصفات تؤهّله لذلك المنصب الرفيع، يمكن تلخيص تلك الصفات باختصار فيما يلي:

١. الحذق والفطانة: ينبغي لمعلم العربية أن يكون فطناً وحاذقاً حتى لا ينخدع بكيد الخادعين والماكرين، فالكيس من يواجه

التهديدات ويقاوم التحديدات بالحكمة والذكاء. ومن الأخطار التي يمرّ بها معلّم العربية في البيئة الأجنبية ما يلي:

- ➢ - تزاحم اللغات الأجنبية على العربية مثل الإنكليزية والفرنسية والأردية، ويظهر ذلك في الحوار والمحادثة وفي الكتب والجرائد.
- ➢ - سيادة اللهجات العامية في العربية، وعلى وجه الخصوص في أجهزة الأعلام وفي كتابة الروايات والقصص.وبذلك أهملنا الاستعمالات الحديثة التي تتطور وتتغير وحرمنا من فهم مراد المتكلّم.
- ➢ - شيوع اللحن والأخطاء النحوية والإملائية عند بعض الكتاب والخطباء والمذيعين.

وهذه الأمور الثلاثة يصعب فهمها لغير العرب الذين تعلّموا العربية الصحيحة حسب قواعد النحو والصرف وتعرّفوا على أساليب الفصاحة والبلاغة عند العرب ولم يعاشروا العرب المعاصرين الذين يتحدّثون باللهجات العامية ولا يبالون في استعمال اللغة بالقواعد والضوابط الموجودة في كتب اللغة.[٢]

٢. الاستعانة بطرق التدريس الحديثة:وقد يسّر الله بالتقنية الحديثة عملية التدريس والتعليم للمعلّمين والمتعلّمين معاً، فقد وجدت الآن وسائل التعليم المتطورة لم يكن لها وجود من قبل، مثل الحاسوب والإنترنت والفيديوات التعليمية. واستخدام هذه

الوسائل يسهّل التدريس ويجعله شيّقاً للطلاب ويوفّر لهم الوقت، فيمكن للمعلم أن ينهض بها في مهمته إذا أخذ الأمر مأخذ الجدّ. ولابدّ أن ندرك أهمية التعلّم المستمر وهذا الأمر في غاية الأهمية، فالإنسان يتعلّم من ولادته إلى وفاته فهو على سبيل المثال يتعلّم كيف يتكيّف مع أسرته وأصدقائه وأقرانه ومجتمعه،بل إن الإنسان يتعلّم كيف يتعلّم. (٣)

٣. العناية بالمناهج والمقررات الدراسية:وهذ يشمل تطوير المناهج والمقرّرات الدراسية وتوحيدها بالتنسيق مع المتخصّصين وذوي الخبرة الواسعة، والهند لا يعوزها هذا الصنف من الناس سواء في المدارس الإسلامية الخاصة أو الجامعات الهندية العامة فإنه يوجد في كلا القطاعين علماء بارزون يمكن أن يساهموا في هذا المجال، وكل ما يحتاج الأمر هنا هو إيجاد الصلات الودية والعلاقات الأخوية بين الطرفين وإسداء النصائح بالصدق والإخلاص للجانبين.(٤) وهذا الأمر مهمّ جدّا خاصة في المدارس الدينية التي لا تزال تدرّس المناهج القديمة التي وضعت لها قبل نصف قرن أو أكثر، فلا بدّ من تعديل المنهج حسب مقتضى العصر ومتطلباته، فإن المنهج لا بد له من التقويم والمتابعة والتطوير فهي ليست مستندأ جامداً لا يقبل التغيير والتعديل، وهذا لا يعني إخراج المواد الدينية من المدارس فهي الغاية التي من أجلها أنشئت ولكن المقصود

إدخال العلوم الحديثة فيها، تلك العلوم التي غيّرت مجرى الحياة في هذا العصر رأساً إلى عقب، فكيف يمكن للأجيال المسلمة أن تتغافل عنها وتتخلف عن بقية الأمم ونحن نعلم أن الإسلام لا يربي المسلمين للمساجد والمدارس فقط بل يهيئهم لتولي المناصب العالية في الدولة ليستتب الأمن فيعمّ الرخاء ويهنأ العيش ويسود العدل ويقمعشوك الظلم والعدوان، فلا بدّ أن تكون المناهج صالحة لخلق جيل يحمل راية التقدم والازدهار في جميع شؤون الحياة لهذه الأمة. ولتحقيق ذلك ينبغي أن تتصف المقرّرات الدراسية بأمور أربعة:

- ➢ - أن تكون أفضل من سابقها.
- ➢ - أن تشتمل على أحسن ما وصل إليه العلم في هذا العصر.
- ➢ - أن تكون سهلة وواضحة لتسهّل مهمة التعليم والتعلّم.
- ➢ - أن تكون صالحة لأداء نتائج فعّالة. (٥)

لماذا هذا الاهتمام البالغ بهذه اللغة؟ يمكن لنا الإجابة عن هذا السؤال إذا تعرّفنا العوامل الحافزة لتعلّمها، منها:

- _ المكانة الاجتماعية والدولية لهذه اللغةومدى انتشارها واستخدامها في المجالات العلمية والاقتصادية والسياسية.
- - مكانتها من الدين الإسلامي، وقد سبقت الإشارة إليها في البداية.

- - السياسة التربوية واللغوية التي تتبنها الدولة : فهذه السياسة تحدّد اختيار لغة أجنبية بعينها من بين سائر اللغات المتعددة.[٦]

٤. تسهيل اللغة وتحبيبها إلى النشئ:وذلك أخذاً بالهدي النبوي: "يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا." لا بد أن نجعل البداية من الأسهل إلى السهل فإلى الصعب تدريجياً، وذلك بأن نركّز في البداية على الكلمات الأساسية في تعليم اللغة ثم نأتي إلى بيان خصائص اللغة لهم كتعدّد المادة وتنوّع الاشتقاق فإنه يزيد رغبتهم لمعرفة المزيد. وينوّع المعلّم اللبيب أساليب التدريس حسب الطلاب المعيّنين وحسب طبيعة المادة ووفق البيئة المتعلّمة. والمعلّم الشفيق يحترم تلاميذه ويكرمهم ويهتمّ بتنمية فكرهم وتطوير شخصيتهم ويشجّع حرّيّتهم وعلوّ همتهم.

٥. الفرق بين تعليم اللغة وتقديم معلومات عنها:يجب على المعلم أن يعلم أن الهدف من تعليم اللغة هو تعويد الطلاب على استعمال جمل مفيدة حسب الضرورة ولا يستحسن تضييع الوقت مثلاً في تقسيم الجملة إلى مبتدأ وخبر وتقسيم الأفعال إلى ماض ومضارع وإلى معروف ومجهول وغير ذلك من التمارين التي تدور حول اللغة ولا تدرّب الطلاب على استخدام اللغة ذاتها.[٧] وكثير من المباحث المتعلقة بعلم الصرف يمكن التجاوز عنها لمن كان همّه تعلّم اللغة العربية المعاصرة دون التعمق فيها من أجل تيسير الاتصالات مع العرب في الشركات

وسائر ميادين العمل. لأنها بالنسبة لهم "علم لا ينفع وجهل لا يضرّ".

٦- تقسيم المهارات اللغوية: المعلم الخبير يبدأ تدريسه بالمراحل بدءاً بالاستماع، فيقرأ الكلمة أو العبارة للتلاميذ بالنطق الصحيح وبنبرة مرتفعة ليسمع الجميع ويعيد القراءة أكثر من مرة حتى يتيقّن أن الطلاب قد تعلموا النطق الصحيح ثم ينتقل إلى المرحلة التاليةفيطلب منهم القراءة ويصحّح لهم الأخطاء إن وجدت ويشجّعهم على تحسين القراءة ولا يلومهم فينفروا وهنا يجدر الإشارة بأن المعلّم عليه أن يتجنّب من الأخطاء في استعمال اللغة أمام التلاميذ حتى يطابق قوله فعله ويكون قدوة حسنة لهم، ثم تأتي المرحلة الثالثة للحديث والحوار فيتعلمون كيفية استخدام الكلمات والجمل وفي النهاية يطالبهم بكتابتها [٨] لأن ما كتب قرّ وما حفظ فرّ كما قال الخليل بن أحمد.

٧- الخلط بين تعليم اللغة الأصلية وبين اللغة الأجنبية:ينبغي أن نفرّق بين اللغتين، فالطفل يعرف اللغة الأم في بيته منذ الصغر مع نموّه الفكريّ ونضوجه العقليّ فيتثقفها أثناء تعامله مع مجتمعه أما اللغة الأجنبية فيتعرّف عليها في مرحلة متقدّمة بعد أن تعلّم اللغة الأصلية، كما أنه يتعلمها في ظروف معينة مثل المدرسة أما لغة الأم فيتعلمها في البيت كما سبق، فلا بدّ من أن نعترف بهذا الفرق. ومن التشابه بين تعلم اللغتين أنهما

تشملان على الأسماء والأفعال والحروفأمـــا الاخـــتلاف ففـــي النظام الصرفي والنحوي فيواجه الطالب في اللغة الأجنبية مـــن الصعوبة ما لا يجده في اللغة الأم، وهذا يـــؤثر فـــي مســـتوى التحصيل كما أن للدافعية تأثيرا بالغاً في تعلمّ اللغة الأجنبية،[٩] وبناء على ذلك يجب على المعلم ألّا يقارن بـــين اللغتـــين فـــي التعلم وخاصة للأطفال الصغار فلا بـــد مـــن إعطـــاء حريـــة التواصل لهم بغض النظر عن الأخطاء، ولا بأس بالتنبيه عليها في المرحلة المتقدمة لنضجهم. ولكن على المعلـــم أن يعـــرف الأخطاء التي يمكن أن يتغاضى عنها الطـــرف؟ فالأحســـن أن يقال: إن التغاضي يكون في الحديث الشفويّ أما في الكتابة فلا بد من تصحيح الأخطاء فيها، وفي النهاية يقال: يجـــب علـــى المعلم أن يرصد الأخطاء الهامة التي تبدو شائعة بـــين طلابـــه والتي يمكن أن يكون هو أحد أســـبابه، فيعمـــل علـــى إعـــادة تدريسها بطريقة أخرى بحيث يتمكن الطلاب من التغلب علـــى أخطائهم آخر الامر. [١٠]

٨- المعلّم الجيّد هو المتعلّم الجيّد:التعلّم ليس له سنّ ينتهي بـــه فالمرؤ لا يزال يتعلّم ما يجهله باجتهاد منه أو بالبحث أو تعلّـــم مستمر، فالمعلم المجرّب قد يخفق إذا لم يول العنايـــة بالتنميـــة المستمرة، وليعلم أن تنمية المهارات لا تخـــتصّ بمـــن يواجـــه المشاكل في التدريس أو في ضبط الفصل فقط وإنمـــا يحتـــاج إليها كل من توغّل في منصب الإفادة. ويمكن للمعلّم أن يـــتعلّم بعدّة أمور، منها:

- ➢ - عملية التعليم والتدريس في الفصل.
- ➢ - تثقيف النفس بقراءة الكتب ومطالعتها، فالمعلّم الجيد فعّال ونشيط ومتدبّر ومتطوّر.
- ➢ - الاستماع إلى تلاميذه وبالتأمّل في مشاركة الطلاب في الفصل وإنجازاتهم يتعلّم المعلّم الذكيّ أشياء كثيرة.
- ➢ - المشاركة في أصناف عديدة من أنشطة التنمية المهنية، وهنا يتسنى له أن يستفيد بتجارب الآخرين وعلمهم ويمكن أن يتبادل الآراء ويناقشها مع أصحاب التخصصات العالية.

الحواشي:

١ - اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها،ص١١٠، تأليف د.نائف حزما ود.علي حجاج، الناشر،عالم المعرفة، الكويت،يونيو١٩٨٨م.

٢ - صفات المعلم الناجح، مقال كتبته نجلاء صبحي

٣ - اللغات الأجنبية،ص،٥١ وانظر مقال نجيب زوحي بعنوان:صفة يمتاز بها المعلم الناجح

٤ - صفات المدرس الناجح في ضوء الفلسفة الحديثة، مقال كتبه أ.د.موفق الحسناوي

٥ - اللغات الأجنبية،ص١٩٨

٦ - المصدر السابق،ص١٨٠

٧ - المصدر السابق،ص١٦٤

٨ - المصدر السابق،ص١٨٤

٩ - المصدر السابق،ص٧٤

١٠ - المصدر السابق،ص١٠٥